# حول الظهير البربري

بقلم الوطني العامل الاستاذ عبد اللطيف الصبيحي

مسألة عويصة هي المسألة البربرية يتطلب استقصاؤها واستجلاء غوامضها بسطة في القول ووفرة مصادر لا غنية عنها لباحث نزيه ، على أن شبابنا الناهضين ممن توفرت لديهم في سكينة وراحة بال وسائل البحث الصحيح وساعدتهم ثقافتهم وتضلعهم من تاريخ المغرب الاقصى ماضيه وحاضره قد عالجوا هذا الموضوع عن جدارة وكفاءة ، فلنجتزئ نحن بنظرة عجلى نلقيها سراعا لدحض نظرية الدكتور بيشان حول موضوعنا هذا وما انطوت عليه من ترهات واساطير ، ولنفتح هلالين قبل الخوض في الموضوع لتبيين موقف الدكتور في ترسمه خطى كتاب الفرنجة الفطاحل اذ جلة الكتاب الذين أرصدوا أنفسهم منذ زمن لدرس عقلية ونفسية المراكشي وبعبارة أعم جميع شئون هذه البلاد لم يوفق ولا واحد منهم - فيما أعلم - مع تكاثرهم سنة عن سنة الى التجرد ، خدمة للحق ، واخذاً بمناهج العلم النزيه ، من الميول والاهواء ، وانك لتجد في جميع ماسطروه وقرروه في مئات المجلدات وعلى ربوات المجلات والصحف ، فكرة التشيع الممقوت نافذاً سلطانها حتى عند سوق الالفاظ وصوغ العبارات مما يقنعك بتواطئهم على استغواء العقول واستنفاذهم لشتى اساليب التضليل عله يستقر في الاذهان ان عزة النفس منطفئة جذوتها في افئدتنا ، وأن أعصابنا مفارقة لها حرارتها وأن ادمغتنا عبارة عن اوكار تعتش في خلاياها عناصر التعفين والانحلال .

وليس من اليسير في شيء ان تجثت من نفوس هؤلاء عقيدة آمنوا بها من قبل ان يهاجروا الى هذه البلاد وزادهم ايمانا بها المشاهدة والحس ، وأقول المشاهدة والحس عن قصد وبصيرة لأن كل من زار هذه البلاد المغربية من هؤلاء لاول مرة ولم يتصل باهلها اتصالا لا يسعه الا الحكم بادئ بدء بان المغرب ( الذي دام متمتعا بكامل استقلاله داخلا وخارجا طوال الف سنة ونيف تحت ظل الاسلام الزاهر ) مفكك الاوصال مختل الاتزان لا مساك لكيانه ولا قوام لجنسيته ، لذلك أصبح في طوقنا لزاماً ان لا نسكت بعد عما يكتب ويقال عنا وان لا نستسلم لما جرت به المقادر دون أن نجول حول محيطنا جولة تفهم واستبصار غير مستأنسين لمثبط ولا حافلين بازورار مزور .

السيد عبد اللطيف الصبيحي

في مقال نشر بتاريخ ١١ نونبر سنة ١٩٣٣ على صفحات « ماروك » التي تصدر بباريس حاول الدكتور بيشان النائب في البرلمان الافرنسي وأحد مقرري لجنة الجيش بمجلس النواب ، أن يثبت فكرة غريبة حتى في نظر من ألفوا ترهات الدعاة الاستعماريين واضاليلهم الزائفة وهذه الفكرة الغريبة التي جاء بها النائب المحترم تتعلق بالظهير البربري الذي كان ربما من الصواب ان يسود حوله السكوت الموقت ، المتفق عليه منذ عدة شهور ، والذي جاء بنتائج لا تنكر .

فليسمح لي اذن الدكتور بيشان — لا لأن افتح معه باب الجدال فيما يخص مقاله الذي يرفرف حوله طيف الالهام الاداري — بل لألفت نظره الى أن قضية الظهير البربري قد انتهى البحث فيها واستنفذت بشأنها الحجج والبراهين باعتراف كلا الطرفين وأن الاوفق ، والحالة هذه ، أن تتربص بكل هدوء وطمانينة بال حلّ المسألة حلا نهائياً .

وأظن أن الدكتور الذي يظهر ان بين يديه كل ما يتطلب ملف القضية من مواد واسانيد قد أخذه الرعب فانبرى يتلمس الخلاص من القضاء المحتوم مستنجداً ببراهين واهية ، أقل ما أقوله عنها في هذه الآونة أنها وان لم يقصد بها الا التسويف فهي لا تخلو من غرابة في الابتكار.

بدأ الدكتور بيشان حملته هذه بمهاجمة عقد الحماية زاعماً انه لم يعط حقه من البحث والدرس الناضج ، مدعياً أن الساسة الذين أنيط بهم تحرير هذا العقد غاب عنهم ، نظراً لضيق الوقت ، أن البربري لم يندمج قط في الجنسية المغربية وأن له وطناً خاصاً به هو الاطلس وشريعة اساسية لا يعدل عنها لغيرها ترفض القرآن وما جاء فيه من هداية روحية ، لذلك اكتمل عقد الحماية نوعاً ما وفي انتظار ما هو أحسن بملحق رقم ١١ دجنبر سنة ١٩١٤ اعترف به اعترافاً رسمياً بوجود قبائل لها العوائد والأعراف شريعة ، وكان من المنتظر الذي لا مندوحة عنه ان يستفيد هذا الملحق من تجارب رجال الشئون الاهلية الاختصاصيين فيتسع نطاقه ويزاد فيه حتى يتكون من هذا وذاك ظهير ١٦ ماي سنة ١٩٣٠ .

ليس من الصعب أن يتفلسف من شاء حول تفوق الاسلام على غيره من الاديان وحول منزلته من بين المقاييس الروحية ، وفي استطاعة الدكتور بيشان ومن كان على وتيرته ان يعارض الاسلام بشرائع اخرى فذاك شأنه وشأنهم ، لكن هناك امراً محسوساً لا بد للمرء ان يخضع له طوعاً أو كرهاً ، ذلك أن الف سنة ونيف كوّنت الوحدة المغربية تحت ظلال الأسلام الزاهر ، ومن الحقائق التاريخية أنه لم يوجد في العالم شعب تولى عن الشريعة المحمدية طوعاً بعد أن كان له القرآن شريعة ، اذاً فالمغرب كان ولا زال وسيبقى قطراً اسلامياً ذا مدنية عربية ، خاضعاً سياسياً وروحياً لسلطان مسلم ، فمن كابر في هذا فهو على حد قول سانت بوف : كمن عرض نفسه لسخريات الدهر .

ومن رابع المستحيلات ان لا تحسب فرنسا للحقيقة حسابها كما أنه من رابع المستحيلات أيضاً أن تندم على عقد الحماية المختوم بامضائها والذي يتضمن من جملة ما يتضمن احترام المؤسسات الاسلامية في طول البلاد المغربية وعرضها ، أو تحاول بطرق لا مبرر لها ، أو بوسائل سطحية اجتناب تطبيق هذا العقد تطبيقاً صادقاً .

ولا تبرر الحماية ولن تأتي بضالتها المنشودة ما لم

تتمسك بجوهرها وتسترشد بفكرتها الاساسية ، ودليلي على هذا ان سعادة المشير ليوطي أول من فهم مقدار شرف المحافظة الدقيقة على الوعد الذي أقطعته على نفسها حكومة فرنسا امام سائر العالم المتمدن بان تحترم نظام المغرب السياسي والعدلي ، واني لادعوه هنا ان يصدع بما يؤمن به في هذه الآونة الحرجة التي أصبح مذهبه فيها هدفاً لسهام النقاد ، على أنه ليس من الممكن في نظري أن يكون سعادة المشير قد فكر في تمزيق الوحدة المغربية ديناً وسياسة أو تجريد جلالة السلطان من نعوت السيادة أو حمله على أن يقضي بيده على نفوذه بالأطلس .

وليس من العدل في شيء ان تنسب اليه السياسة البربرية الجديدة بما لها من اسس واتجاه وطموح في استرجاع العصر اللاتيني المسيحي وما عليها من شبهات وما فيها من نزعات وما ترمى اليه من محاولات جريئة .

واني لأدعو ايضاً سعادة الرئيس ألبير سارو الذي طالما اكد بان تحكيم الدول أصبح ضرباً لازبا في مشاكل الاستعمار وعلاقتها بالمستعمرين اذ يقول بالحرف : ليس في وسع المستعمر اليوم اكثر من امس ان يحرر نفسه من تبعات المراقبة وما ينشأ عنها من خطورة .

اذاً من مصلحة فرنسا كما يقضي بذلك العقل السليم ان تتدارك أغلاط القضية البربرية وتترك البرابرة احراراً في المحافظة أو عدمها على ما أورثته اياهم عصور غابرة عريقة في القدم من عوائد جامدة وانما رغم الجهل وعدم التمييز بين الصالح والطالح ورغم دسّ الدسائس لابد من وجود القاضي ممثل السلطان في جميع النواحي التي تكره فكرة تمزيق الوحدة المغربية ان تراه موجوداً فيها وعلى فرض فراغ محكمة القاضي وعدم وقوع الاقبال عليها لما أسلفناه من الاعتبارات فوجوده يجب أن يكون رمزاً قائماً على حياة مبدأ مستمر بلا انقطاع منذ الف سنة ونيف .

وحيث أن الدكتور بيشان اكد ان فرنسا كانت دائماً حبيبة الاسلام فأظنه على رأيي بأن ليس هناك فرصة أنسب لاظهار هذه المحبة من ان تحترم دولته جميع المؤسسات الاسلامية في اطراف المغرب احتراماً صادقاً ، وليس أحب الي من أن افرض أن مسجد باريس رمز لهذه المحبة وبصرف النظر عن كون تسامحنا نحن الشرقيين ليس بأقل من تسامح الغربيين فإنا نأمل أن يظهر هذا العطف أولا في بلاد الاسلام .

ولقد تحدث النائب المحترم عن زعيم الوطنية العربية الاكبر شكيب أرسلان وأراد أن يربط سفر الامير الى طنجة في بحر سنة ١٩٣٠ بصدى احتجاجنا على الظهير البربري فاتخذ فقرة من «مجلة الفتح» وزعم أنه جاء فيها نداء للجهاد بالديار المغربية واتخذ من ذلك وسيلة لرمينا بأفحش القذف ، وها قد مرت ثلاث سنوات على هذه الزيارة دون أن تعدو احتجاجاتنا ومظاهراتنا اثناء هذه المدة طور الرزانة والكياسة ، فليكن هذا السلوك جوابنا على تخويفه للناس بتعصبنا الديني كما زعم قبلئذ بكل سداجة الرئيس ڤان در ڤيلد اذ الحقيقة أن ليس في الاسلام من عدوان والجالية الاروبية كأُختها الاسرائيلية اللتان يعيشان بين أظهرنا على وفاق تام شاهدتان على ذلك بالعيان .

ولكن الدكتور بيشان آل على نفسه أن يواصل جرأته الى النهاية فاتهم زعماءنا الذين لم يقتصد في سبه اياهم بأنهم مأجورون لدول أجنبية ، أضف الى هذا السب نصائح غالية مثل سوق هؤلاء « المشوشين » الذين لا

يتجاوزون بضع مئات مغلولي الايدي والارجل وارهاقهم بضرب العصى .

ولا أدري هل هنا الدكتور الغشوم مجد فيما يقول . وانما أترك له تبعة اتهامه وتصريحاته القاطعة وأذكره في أن حياة من يزعم أنهم مشوشون هي على قاعدة بعض الاوساط التي كتب عنها المسيو بيير دومينيك «كتاب مفتوح حيث يمكن للجميع أن يتصفحوه ويقرؤوا ما فيه بصوت عال» وكل ما نملك يا دكتور هو ضميرنا النير المستقيم ولهجتنا الصادقة المخلصة وهدم حياتنا المادية عن علم وبصيرة ، ووقف مواهبنا على خدمة فكرة ترمي الى مثل عال في العدل والعقل والرحمة ، وقد أخذنا على أنفسنا أن نسعى في تحقيقه بدون ملل ولو أدى بنا الحال الى أكبر تضحية يجود بها انسان حي .

والخلاصة : هل يبقى مفتاح سياسة الاجتماع ، فيما يخص الاستعمار ، هو القوة الغاشمة . تلك اللذة القصوى التي يستطيبها الاستبداد ، وهل لا يمكن للاستعمار ألا يعلم شيئاً آخر سوى لطمة من فولاذ على وجوه أصدقاء أوفياء عزل ، أوليس هناك شيء آخر سوى « فرّق لتسود » وجرح العواطف وضغط الافكار وزرع بذور الشقاق والنفور في القلوب ؟

بلى — كما قد يقول الدكتور بيشان — هناك شيء آخر هو قفل جميع النوافذ قفلاً محكماً حتى لا ينفذ منها لا نور ولا حرية .

فلنكن على بينة !

سلا — عبد اللطيف الصبيحي

مجلة المغرب

تباع بمكتبة السيد المكي امبيركو — بسوق السباط بالرباط

# العلم روح التجارة

## بل أساس العمران

العلم روح كل شيء ومقامه من التجارة بمنزلة الرأس من الجسد والتجارة بلا علم كالجسد بلا روح فتعلم الناشئة العلوم النافعة العالية واجب قبل كل شيء ثم تدريبهم على العمل والتجارة وافهامهم مقامها وحضهم على الاخلاق المؤهلة لها بكل ما يجب لها وما يوصلهم اليها ولنتائجها وعواقبها وما يبعث فيهم روح التشبث بالمعالي والتشوق للمجد والحرية والاعتماد على انفسهم بالعلم والعمل وذلك أحسن بكثير من أن يتعلموا طامحين ان نالوا منه الكفاية الى الجلوس على اريكة الوظائف الوثيرة فالتشوف لنيل الوظائف يقضي على همة المرء ويثبط عزمه مهما كان عزمه وبلغت اماينه نعم لا باس بها ان اتت عفواً وبنيت على اساس المصلحة العامة والاستقامة التامة وعاد على الوطن منها مايكفل له رفاهيته وهناءه وفوق ذلك يجب على الموظف العالم العامل المقتدر ان يكون ذا همة أعلى من المطامع الخسيسة ونزاهة فوق الشخصيات جاعلا نصب عينيه التقدم لما هو ارقى وأنفع فالرجل الكامل من تعلو به الرتب ولا يعلو بها أما اذا كان الموظف ناقص العلم ضعيف العمل فانه طبعا رق للوظيف يرى فيه حياته ظانا لعجزه ان لا حياة له بدونه كالسمك اذا خرج من الماء مات والناس مرآة تنطبع عليها صور أخلاق الشخص حسنة وقبيحة واذا رأوا منه الكفاءة والخبرة الواسعة والاقتدار على الوظيف والاستغناء بعلمه وعمله عن الغير وان في امكانه أن يعيش حراً مستقلا بلا رق الوظيف عاملوه بما هو أهل له ونظروا اليه بما يجب من الاجلال والتعظيم وان علموا ورأوا جهله وعجزه وخموله وقصر باعه وسقوط همته أنزلوه منزلته ويئسوا من نفعه وعاملوه بما يستحق من الذل والهوان والاحتقار ولذلك يجب ترغيب الابناء في العمل المستقل والحركة الدائمة لأن الحركة والشعور دليلا الحياة كما أن الكسل والخمول وفقدان الشعور وسقوط الهمة دلائل الموت الادبي الذي لاقيمة للحياة بفقده